

تفسير ابن كثير

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا . ولكنها من طرق كلها مرسله

، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم . قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن

حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : قرأ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة " النجم " فلما بلغ هذا الموضع : (أفرايتم اللات

والعزى . ومناة الثالثة الأخرى) قال : فألقى الشيطان على لسانه : " تلك الغرائق العلى .

وإن شفاعتهن ترتجى " . قالوا : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم . فسجد وسجدوا ، فأنزل الله

عز وجل هذه الآية : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان

في أمنيته [فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم]) رواه

ابن جرير ، عن بندار ، عن غندر ، عن شعبة ، به نحوه ، وهو مرسل ، وقد رواه البزار

في مسنده ، عن يوسف بن حماد ، عن أمية بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فيما أحسب ، الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة " النجم " ، حتى انتهى إلى : (أفرايتم اللات والعزى) ، وذكر بقيته . ثم قال البزار : لا يروى متصلا إلا بهذا الإسناد ، تفرد بوصله أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور . وإنما يروى هذا من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . ثم رواه ابن أبي حاتم ، عن أبي العالية ، وعن السدي ، مرسلا . وكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن قيس ، مرسلا أيضا . وقال قتادة : كان النبي صلى الله عليه وسلم [يصلي] عند المقام إذ نعس ، فألقى الشيطان على لسانه " وإن شفاعتها لترتجى . وإنما لمع الغرائق العلى " ، فحفظها المشركون . وأجرى الشيطان أن نبي الله قد قرأها ، فزلت بها ألسنتهم ، فأنزل الله : (وما أرسلنا من قبلك من رسول [ولا نبي إلا إذا تمنى] (الآية ، فدحر الله الشيطان . ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي ، حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي ، حدثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب قال : أنزلت سورة النجم ، وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر

آهتنا بخير أقرناه وأصحابه ، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آهتنا من الشتم والشر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم ، وأحزته ضلالهم ، فكان يتمنى هداهم ، فلما أنزل الله سورة " النجم " قال : (أفرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى) ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت ، فقال : " وإنهن لهن الغرائق العلى . وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى " . وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، وزلت بها ألسنتهم ، وتباشروا بها ، وقالوا : إن محمدا ، قد رجع إلى دينه الأول ، ودين قومه . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [آخر النجم] ، سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك . غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا ، فرفع على كفه ترابا فسجد عليه . فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود ، لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقى الشيطان في مسامع المشركين فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان

في أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحدثهم به الشيطان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرأها في السورة ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم . ففشت تلك الكلمة في الناس ، وأظهرها الشيطان ، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين ، عثمان بن مظعون وأصحابه ، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه ، وحدثوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة فأقبلوا سراعا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان ، وأحكم الله آياته ، وحفظه من الفرية ، وقال [تعالى] : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) ، فلما بين الله قضاءه ، وبرأه من سجع الشيطان ، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم المسلمين ، واشتدوا عليهم . وهذا أيضا مرسل . وفي تفسير ابن جرير عن الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، نحوه . وقد رواه الإمام أبو بكر البيهقي في كتابه " دلائل النبوة " فلم يجز به موسى بن عقبة ، ساقه في مغازيه بنحوه ، قال : وقد

روينا عن ابن إسحاق هذه القصة .قلت : وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا ، وكلها مرسلات ومنقطعات ، فالله أعلم . وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظي ، وغيرهما بنحو من ذلك ، ثم سأل هاهنا سؤالا كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه؟ ثم حكى أجوبة عن الناس ، من أظفها : أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك ، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك في نفس الأمر ، بل إنما كان من صنيع الشيطان لا من رسول الرحمن صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم .وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته . وقد تعرض القاضي عياض ، رحمه الله ، في كتاب " الشفاء " لهذا ، وأجاب بما حاصله .وقوله : (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) ، هذا فيه تسلية له ، صلوات الله وسلامه عليه ، أي : لا يهديئك ذلك ، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء .قال البخاري : قال ابن عباس : (في أمنيته) إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته .قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (إذا تمنى [ألقى

الشیطان فی أمنيته) ، یقول : إذا حدث ألقى الشیطان فی حدیثه . وقال مجاهد : (إذا تمنى) [یعنی : إذا قال . ویقال : (أمنيته) : قراءته ، (إلا أمني) [البقرة : 78] ، یقولون ولا یکتبون . قال البغوي : وأكثر المفسرين قالوا : معنى قوله : (تمنى) أي : تلا وقرأ كتاب الله ، (ألقى الشیطان فی أمنيته) أي : فی تلاوته ، قال الشاعر فی عثمان حین قتل : تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادرو قال الضحاک : (إذا تمنى) : إذا تلا . قال ابن جریر : هذا القول أشبه بتأویل الكلام . وقوله : (ینسخ الله ما یلقى الشیطان) ، حقيقة النسخ لغة : الإزالة والرفع . قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أي فیبطل الله سبحانه وتعالى ما ألقى الشیطان . وقال الضحاک : نسخ جبریل بأمر الله ما ألقى الشیطان ، وأحكم الله آیاته . وقوله : (والله عليم) ، [أي : بما یكون من الأمور والحوادث ، لا تخفی علیه خافية] ، (حکیم) أي : فی تقديره وخلقه وأمره ، له الحکمة التامة والحجة البالغة ;